المحاضرة الرابعة

توماس هوبز
(١٥٨٨ – ١٦٧٩)

انشغل بال هوبز بشكل خاص بالوسيلة التى يمكن من خلالها تحقيق الأمن و السلام و الطمأنينة ليتم تجاوز الخوف و كانت هذه الوسيلة متمثلة لديه فى السلطة المطلقة .

الانتقال من حالة الطبيعة إلى المجتمع

يرسم هوبز صورة لحالة الطبيعة التى وجدت قبل أن يوجد المجتمع المنظم و المحكوم ، و مبدأ الرغبة فى كل شئ هو الذى كان يحكم الإنسان فى تلك الحالة التى كانت تتسم بالحروب الدائمة ، و من ثم لم يكن هناك مكان للصناعة و لا للمعرفة و لا للفنون و الآداب ، فكل ما يوجد هو الخوف الدائم و خطر الموت، و لا يوجد قانون و لا عدل و لا ظلم ، و لا وجود للملكية الشخصية .

و هذه الصورة تبرر تدخل الدولة فى الشؤون الاقتصادية للقضاء على البطالة و تحديد النفقات الخاصة للرعايا و السلطة الملكية عند هوبز هى أداة تحقيق ذلك .

قوانين الطبيعة

إن أساس الخروج من حالة الطبيعة و إقامة المجتمع المدنى – السياسى عند هوبز هو مبدأ العقل الذى يرى أنه القوة التنظيمية التى يتوقف عليها انتقال الناس من الحالة الطبيعية إلى الحالة المجتمعية ، و يحددث ذلك وفقًا لقوانين

الطبيعة التى تقرر ما يعمله كل كائن عاقل .و يحدد هوبز تسعة عشر قانونًا طبيعيًا لكنه يؤكد بوجه خاص على قانونين رئيسيين هما :

- قانون البحث عن السلام .
- قانون الدفاع عن النفس بكل الطرق المتوفرة .

العقد الاجتماعى و نشؤ الدولة

افترض هوبز أن اتفاق الإرادات الإنسانية الفردية لم يكن كافيًا فى حد ذاته لقيام الدولة ، بل كان من اللازم اندماج هذه الإرادات الفردية لتكوين إرادة مجتمعية واحدة كلية عامة عليا تخضع لها الإرادات الجزئية الفردية .

و العقد الاجتماعى عند هوبز لم يكن بين الأفراد من أعضاء المجتمع و السيد صاحب السيادة ، و إنما بين هؤلاء الأفراد الذين اتفقوا بظانفسهم و فيما بينهم على التنازل عن كل حقوقهم و حرياتهم التى من شأنها الإضرار بالسلام لمصلحة هذا السيد صاحب السيادة الذى لا يعد طرفًا فى العقد و لا خاضعًا لشروطه .

الدولة و الحقوق الفردية

صاحب السيادة فى العقد الاجتماعى :

- وحده من يمسك بسيف العدل و سيف الحرب .
- وحده من يحدد ما هو لى و ما هو لك .
- وحده من يحدد ما هو عادل و ما هو ظالم .
- وحده من يحدد ما هو شريف و ما هو فاجر .
- وحده من يحدد ما هو خير و ما هو شر .

أما حقوق الأفراد ، فقد زالت هذه الحقوق بعد أن تنازلوا عنها لصالح صاحب السيادة بموجب العقد الاجتماعى المبرم بينهم ، و عليه ، لم يعد لهؤلاء

الأفراد من حقوق يتمتعون بها إلا الحقوق التى يقررها لهم صاحب السيادة بمحض إرادته .

و يرى هوبز أن الإنسان يتمتع بالحرية فى الحدود التى لا توجد فيها قوانين، إلا أن الحرية بهذا لمعنى لا وجود لها لافتقار الإنسان لحرية الإرادة .